سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة تر المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور العظمى المؤيد بما شاهدوه من دلائل
الحق تعالى وبالهدى الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى
يكاد ينتفع بها فاطفاها تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار
لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض
والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة
الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن
الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس
والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم
حيث سدوا اسماعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها
بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التوحيد المنصوبة في الافاق والانفس بعين التدبر
واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية
وهذا عند معاطي صنعة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناهي التشبيه كما في
قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء لما ان المقدر في النظم في حكم
الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك
قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره
لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء فيه للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم با
لصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها
والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتقطيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة
من غير تعرض لتشعري السمع والنطق ولا اختلاف مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما
بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمير المتقدم فالاية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له لبيان ما اصابهم
ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلف مشاعرهم
جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم
لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه والعدول الى
الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى
حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب

في تركهم

في تركهم او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم في الضميران للمستوقدين او كصيب تمثيل لحالهم
اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقهما من التقطيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر
والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرح
م اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد مضى
عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية
لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل
واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب
قال الشماخ عفا ابنه نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الوعد صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزام
الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول وامد فيه ما فيه من المبالغات
من جهة مادته الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني
الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصايب من السماء متعلق
بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه
وعن الحسن انها موج مكفوفة اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان
انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على
حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها
والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق اخذ بالافاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف
الماهية فيه ظلمات اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة الاظلال مما
يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها محلا
لغيرهم كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره
وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل
الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما
افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد وهو صوت يسمع من
السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها
عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق
الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما
في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)